تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط السابع عشر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

المتن: قال المؤلف رحمه الله تعالى: وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ : «اللَّهُمَّ اغسِلْ خطاياي بالماءِ والثَّلجِ والبَرَدِ»، كيف تُطهر الخطايا بذلك؟ وما فائده التخصيص بذلك؟

وقوله في لفظ آخر «بالماء البارد» والحار أبلغ في الإنقاء، فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فترخي القلب وتضرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها، ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفئ النار.

الشيخ: بالماء يغسل النجاسة، والثلج هذا يبرد الحرارة، حراره المعاصي، كذلك البَرد ينقى أكثر من غيره، فهذا وجه النبي ﷺ هذه الأنواع

المتن: وسألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد كيف تطهر الخطايا بذلك؟

الشيخ؛ يعني ألا يكفي الماء؟ لماذا جُعل معه الثلج والبرد؟ ما المناسبة؟

المتن :وما فائدة التخصيص بذلك؟ وقوله في لفظ آخر «والماء البارد» والحار أبلغ في الإنقاء؟

الشيخ؛: هذا المعروف أن الماء الحار أبلغ في إنقاء للثوب فلماذا قال والماء البارد؟

المتن: فقال

الشيخ : يعني أجاب الشيخ

المتن: الخطايا توجب للقلب حراره ونجاسة وضعف.

الشيخ: النجاسة تُطهر بالماء، والحرارة تُبرد بالماء البارد والثلج والبرد.

المتن: فقال الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفا فترخي القلب، وتبرم فيه نار الشهوة وتنجسه، فإن الخطايا والذنوب منه بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها؛ ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث، يُطفئ النار.

الشيخ: يغسل الخبث يعني النجاسة، ويُطفئ النار.

المتن : ويُطفئ النار؛ فإن كان باردا أورث الجسم صلابة وقوة.

الشيخ: هي بدل الضعف.

المتن: فإن معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد، وصلابة الجسم، وشدته، وأذهب لأثر الخطايا، هذا معنى كلامه، وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح، فاعلم أن هاهنا أربعة أمور.

الشيخ: يريد ابن القيم أن يشرح كلام الشيخ ويوضحه.

المتن: وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح، فاعلم أن هاهنا أربعة أمور، أمران حسيان، وأمران معنويان، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا.

الشيخ: بالحسي والمعنوي.

المتن : فذكر النبي ﷺ من كل شطر قسما، نبه به على القسم الآخر فتضمنت كلماته الأقسام الأربعة في غايه الاختصار وحسن البيان؛ كما في حديث الدعاء بعد الوضوء: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ» فإنه يتضمن ذكر الأقسام الأربعة.

الشيخ؛ فالمتوضي إذا فرغ يأتي بالشهادتين، ويدعوا بالتوبة والتطهر؛ لأن الماء يزيل الحدث عن البدن، والخطايا تزيلها التوبه «اجْعَلْنِي مِنْ التَّوَّابِينَ» التوبة تزيل المعصية، الماء يزيل الحدث، والتوبة تزيل المعصية « وَاجْعَلْنِي مِنْ الْمُتَطَهِّرِينَ» من النوعين النجاسة الحسية والمعنوية.

المتن: ومن كمال بيانه ﷺ، وتحقيقه لما يخبر به ويأمر به، تمثيل الأمر المطلوب المعنوي بالأمر المحسوس.

الشيخ: نعم كان رسول الله ﷺ يضرب الأشياء، ويوضح الأشياء الغامضة والبعيدة يقربها ويوضحها بالأشياء المحسوسة الحاضرة، من كمال بيانه ﷺ.

المتن: ومن كمال بيانه ﷺ، وتحقيقه لما يخبر به ويأمر به؛ تمثيل الأمر المطلوب المعنوي بالأمر المحسوس، وهذا كثير في كلامه؛ كقوله في حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه: «سَلِ اللهَ تَعَالَى الْهُدَى، وَالسَّدَادَ ، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَاذْكُرْ بِالسَّدَادِ تَسْدِيدَكَ السَّهْمَ» وهذا من أبلغ التعليم والنصح، حيث أمره أن يذكر إذا سأل الله الهدى إلى طريق رضاه وجنته كونه مسافرا، وقد ضل الطريق فلا يدري أين يتوجه؟ فطلع له رجل خبير بالطريق، عالم بها، فسأله أن يدله على الطريق، فهكذا شأن طريق الآخرة؛ تمثيلا لها بالطريق المحسوس للمسافر، وحاجة المسافر إلى الله سبحانه إلى من يهديه إلى تلك الطريق أعظم من حاجه المسافر إلى بلد، إلى من يدله على الطريق الموصل إليها.

الشيخ: نعم، لأن السفر على قسمين:

- سفر في الدنيا إلى البلدان.
- وسفر إلي الأخرة.

فالرسول ﷺ: دعا بأن يهديه الله؛ لأن الذي يمشي في الطريق يحتاج إلى دليل وهداية، ويحتاج إلى صواب؛ ولهذا قال: « الْهُدَى، وَالسَّدَادَ» الهدى على الطريق، والسداد لما أقصده أن أصيبه ولا أخطئه.

المتن: وكذلك السداد هو إصابه القصد قولا وعملا، فمثله مثل رام السهم، إذا وقع سهمه في الشيء الذي رماه فقد سدد سهمه وأصاب، ولم يقع باطلا.

الشيخ: ولهذا قال النبي ﷺ «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» حاولوا الإصابة، فإذا لم تحصل الإصابة فالمقاربة للإصابة.

المتن: فهكذا المصيب للحق في قوله وعمله، بمنزله المصيب في رميه، وكثيرا ما يُقرن في القرآن هذا وهذا، فمنه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]

الشيخ: نعم،الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن ربط الأشياء بما يناسبها قال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ أمر الحجاج أن يأخذوا معهم زاد السفر؛ لأن هناك أناسا كانوا يخرجون مع الحجاج وليس معهم شيء، ويقولون نحن المتوكلون، فيصبحون عالة على الحجاج، أمرهم الله أن يأخذوا الزاد من الطعام، وما يحتاجون إليه للسفر، تزودوا، ثم نبه على سفر أشد يحتاج إلى زاد؛ ولهذا قال ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فسفر الآخرة زاده التقوى، وسفر الدنيا زاده الطعام والشراب، فنبه جل وعلا على هذا وهذا؛ كما أنك تأخذ أُهْبه السفر للدنيا، تأخذ أُهْبه السفر للأخرة، وأُهْبه السفر للآخرة هي التقوى، تقوى الله بفعل أوامره وترك ما نهى عنه، هذا زاد الآخرة، سميت تقوى لأنها تقي من عذاب الله، وقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] الله جل وعلا امتن علينا باللباس الحسي الذي هو الثياب نستر بها عوراتنا، ونُجمِّل بها هيئاتنا ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ [الأعراف: ٣١] يعني سِتر العورات هذه الزينة ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ يعني عند كل صلاة ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦] يستر عوراتكم، السوءة هي العورة، إمتن الله علينا بذلك، ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ

﴿خَيْرٌ﴾ لما أمر بأخذ الستر الحسي على البدن وستر العورة، نبَّه على لباس التقوى فهو أولى؛ الذي يستر الذنوب، ولباس التقوى ذلك خير من لباس الدنيا.

لهذا يقول الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسيا

فكسوة البدن لا تكفي عن كسوة الذنوب والمعاصي؛ كما تغطي عورتك باللباس، تغطي ذنوبك بالتوبة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ولما قال سبحانه في آية الركوب: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢ – ١٣] لسنا مطيقين له، لولا أن الله سخره لنا وذلله لنا ما استطعنا السيطرة عليه، هل تستطيع السيطرة على البعير؟ البعير أقوى منك، تستطيع أن تملك الفلك في البحر تسيطر عليها؟ لا، ما تستطيع، هو الذي سخرها لك، جعلها تطفو فوق الماء وهي محمله بالبضائع ولا تغرق، فهذا من نعم الله عز وجل؛ لكن لا تقتصر على هذا، أذكر السفر للآخرة تقول ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٤] تتذكر بسفر الدنيا سفر الأخرة والانتقال من الدنيا إلى الأخرة، ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ فهذا بالمناسبة، ينبه الله جل وعلا بالأشياء المشاهدة على الأشياء الغائبة

المتن: وكثيرا ما يُقرن في القرآن بين هذا وهذا.

الشيخ: نعم كما ذكرنا لكم الأمثلة هذا وهذا.

المتن: فمنه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ أمر الحاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زادهم، ثم نبههم على زاد سفرالأخرة وهو التقوى، وكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله والدار الأخرة لا

يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[الأعراف: ٢٦]

الشيخ: لما ذكر سبحانه في سورة الأعراف أن المشركين يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها، يزين لهم الشيطان هذا، الله جل وعلا أمرهم بستر عوراتهم ﴿* يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ يعني استروا عوراتكم عند كل مسجد، والمشركون كما ذكرنا كانوا يتعرون في الطواف، ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها، زين لهم الشيطان هذا، الله سبحانه متعالى قال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ يعني: تفضلنا عليكم، والإنزال هنا معناه الإيجاد، إيجاد الشيء من مصادره ﴿قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ يعني زيادة على ستر العورات فيه جمال أيضا تتجملون به، ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ فنبه باللباس الحسي على اللباس المعنوي، لا تُجمل شخصيتك وهياتك وتنسى التجميل الصحيح وهو التقوى فهو الجمال للإنسان، كم من متجمل بثيابه لكنه غير متجمل في طاعته وعمله، وكم من رث الثياب وهو متجمل بالتقوى، ولهذا قال ﷺ : «رُبَّ أَشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأبواب لو أَقسم على الله لَأَبَرَّهُ» أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ما يخليه يدخل على الملوك والرؤساء المسؤولين لحقارته؛ لكنه عند الله عزيز، السبب ما هو؟ تقوى الله سبحانه وتعالى، «لو أَقسم على الله لَأَبَرَّهُ»

المتن: ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾

الشيخ: الريش هو الزينة

المتن: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ فجمع بين الزينتين، زينة البدن باللباس وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن.

الشيخ : نعم، إذا جمع بين الزينتين، جمع بين زينة الظاهر باللباس المحسوس، وزينة الباطن بالتقوى.

المتن: زينة الظاهر والباطن، وجمال الظاهر والباطن، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣] فنفى عنه الضلال الذي هو عذاب القلب والروح، والشقاء الذي هو عذاب البدن والروح أيضا، فهو مُنعم القلب والبدن بالهدى والفلاح، ومنه قول امرأه العزيز عن يوسف عليه السلام لما أرته النسوة اللائمات لها في حبه ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] فأرتهن جماله الظاهر؛ ثم قالت ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾

الشيخ: فجمع عليه السلام بين جمال الظاهر والباطن، فكان أجمل الناس عليه السلام جمال يوسف ليس له نظير عليه السلام وذلك مما أغرى به امرأة العزيز، وراودته عن نفسه، ولكنه استعصم ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣] ثم هرب منها فلحقته وجذبت ثوبه وشقته وإذا بسيدها على الباب يدخل، فشاهد الواقع فقلبت الدعوة عليه ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ﴾ [يوسف: ٢٥ – ٢٦] قلبت الدعوة عليه وجعلته هو المجرم؛ لكن الله جل وعلا برأه بأن جاء شخص وقال يُنظر في الشق الذي في الثوب، فإن كان في المقدمة فهو راودها أو تريد أن تدفعه عن نفسها فشقت ثوبه دفاعا.

وإن كان من دبر فهي التي لحقته ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٦ – ٢٨] فبرأ الله نبيه من هذه التهمة بسبب التقوى والاعتصام بالله عز وجل، مع أن المغريات كلها موجودة، غلقت الأبواب، تجملت، قالت هيت لك،كل الأسباب موجودة؛

ولكنه اعتصم بالله فعصمه سبحانه وتعالى منها﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤] هذا السبب.

المتن: منه قول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام.

الشيخ: العزيز هو ملك مصر

المتن: لما أرته النسوة اللائمات لها في حبه ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾فأرتهن جماله الظاهر، ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾.

الشيخ : هذا جماله الباطن، ﴿رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾هذا جماله الباطن.

المتن: فأخبرت عن جماله الباطن بعفته، فأخبرتهن بجمال باطنه وأرتهن جمال ظاهره، فنبه ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ» على شده حاجة البدن والقلب إلى ما يطهرهما.

الشيخ: يعني إذا طهرت ثوبك من النجاسة تذكر تطهير قلبك بأي شيء؟ بالتوبة، تُب إلى الله عز وجل.

المتن: فنبه ﷺ بقوله «اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ» على شدة حاجه البدن والقلب إلى ما يطهرهما ويبردهما ويقويهما، وتضمن دعائه سؤال هذا هذا والله أعلم.

وقريب من هذا أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال «غُفْرَانَك »

الشيخ: نعم كان ﷺ إذا دخل الخلاء لقضاء حاجته، أنه إذا خرج يقول: «غُفْرَانَك» إغفر لي، هل فعل خطيئة بدخوله؟

قالوا: لأن الله أنعم عليه بإزالة الأذى فهو اعترف بتقصيره بالشكر لله عز وجل فقال «غُفْرَانَك».

المتن: وقريب من هذا أنه ﷺ كان إذا خرج من الخلاء قال «غُفْرَانَك» وفي ذلك من السر والله أعلم أن النَّجو يُثقل البدن ويؤذيه.

الشيخ : نعم خَلَّصه الله من النَّجو وهو: الخارج الذي فيه أذاه، وفيه تأثير على البدن لو بقي ربما يَقتل، فهذه نعمة عظيمة أن الله خلصك منه، فيجب عليك الشكر لله ﷻ لذلك، فأنت تعترف بالتقصير عن شكر الله ﷻ على ذلك.

المتن: وفي هذا من السر والله أعلم أن النَجو يثقل البدن، ويؤذيه باحتباسه، والذنوب تثقل القلب، وتؤذيه باحتباسها فيه، فهما مؤذيان مضران بالبدن والقلب، فحِمد الله عند خروجه على خلاصه من هذا المؤذي للبدن، وسأله أن يخلصه من المؤذي الآخر.

الشيخ: وهو الذنوب

المتن:: وسأله أن يخلصه من المؤذي الآخر، ويريح قلبه منه ويخففه، وأسرار كلماته وأدعيته ﷺ فوق ما يخطر بالبال.

الشيخ : لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤]، فكلماته فيها أسرار عظيمة، وفيها حكم عظيمة، نفهم منها ما نفهم، ويغيب عنا منها الشيء الكثير.

فصل

المتن: وقد وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواط بالنجاسة.

الشيخ: الشرك نجس قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨] النجاسة معنوية؛ لا يطهرها إلا التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وكذلك اللواط نجاسة خُلقيه لا يطهرها إلا التوبة إلى الله سبحانه وتعالى والبعد عنها وعن أسبابها.

المتن: وقد وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه.

الشيخ: نعم وصف الشرك بالنجاسة ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ نجاسة معنوية يطهرها التوحيد، تطهير معنوي، ووصف الزنا بالنجاسة ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾[النور: ٢٦] الزانيات للزانين ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾[النور: ٣] ووصف اللواط بالنجاسة، ولهذا لما أنكر عليهم لوط عليه السلام قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[النمل: ٥٦] يتطهرون من أي شيء؟ من اللواط، دل على أن اللواط نجاسة والعياذ بالله، ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ هذا ذنبهم؛ فهم اعترفوا للوط عليه السلام بنقائه وسلامته من هذه الفاحشة من حيث لا يشعرون.

المتن: وقد وسم الله سبحانه الشرك والزنا واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب؛ وإن كانت مشتملة على ذلك.

الشيخ: وإن كانت الذنوب مشتملة على النجاسة المعنوية؛ لكن نص على هذه الجرائم الثلاث للتحذير منها؛ لأنها أخبث الجرائم، وأقبح القبائح.

المتن: لكن الذي وقع في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة: ٢٨]

الشيخ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ والمراد نجاسة الشرك.

المتن: وقوله تعالى في حق اللوطية: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾[الأنبياء: ٧٤].

الشيخ: الخبائث يعني اللواط

المتن: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾وقالت اللوطيه:﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النمل: ٥٦]

الشيخ: هذا عيبهم ﴿ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾يعني لا يقعون في اللواط.

المتن: وقالت اللوطية: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ فأقروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخابث الأنجاس.

الشيخ: إي نعم، أقروا على أنفسهم أنهم خبثاء لا يتطهرون وأن لوطا عليه السلام يتطهر من ذلك ويترك.

المتن: فأقروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخابث الأنجاس، وأن لوطا وآلة مطهرون من ذلك باجتنابهم له، وقال تعالى في حق الزناة: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ ﴾ [النور: ٢٦]

الشيخ : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾[النور: ٢٦] الرجال الطيبون للنساء الطيبات، والطيبات من النساء للرجال الطيبين.

المتن: فأما نجاسة الشرك فهي نوعان:

- نجاسة مغلظة
- ونجاسة مخففة

الشيخ: يعني إذا كان الشرك شركا أكبر فنجاسته مغلظة، لا يطهرها إلا الشهادتان؛ وأما إن كان الشرك شركا أصغر؛ فنجاسته نجاسة مخففه تطهيرها بالتوبة من الرياء والنفاق والسمعة.

المتن: فأما نجاسة الشرك فهي نوعان :

- نجاسة مغلظة
- ونجاسة مخففة

فالمغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

الشيخ: يعني من مات عليه فإن الله لا يغفر له، بخلاف الذنوب التي دون الشرك فإنه يُرجى أن يغفر الله له.

المتن: والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء .

الشيخ: كيسير الرياء، أما الرياء الكثير هذا نفاق؛ هذا شرك أكبر، إذا كان كل أعماله رياء فهذا شرك أكبر، قال الله ﷻ في المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] فالرياء الكثير لا يقع من المسلم أبدا؛ وأما الرياء اليسير فيقع من المسلم.
ولهذا قال ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ» فسُئل عنه فقَالَ: «الرِّيَاءُ» يقع من المؤمن الرياء في بعض الأمور، في بعض الأحيان يقع منه الرياء ويذهبه بالتوبة إلى الله عزوجل والإخلاص لله.

المتن: والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق.

الشيخ: التصنع للمخلوق؛ يعني تتزين للمخلوق وتظهر بالمظهر الدَيِّن؛ وأما الله ﷻ فلا يُهمك ولا تتزين له بالتقوى ولا تتزين له بالإخلاص ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾
﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [النساء: ١٠٨] يخفون سيئاتهم عن الناس؛ ولكنهم لا يخفونها عن الله ولا

يقدرون أن يخفوها عن الله؛ لأن الله لا يحجبه شيء، يرى كل شيء سبحانه ويعلم كل شيء، فمهما حاولت أن تختفي عن الله ما تختفي عليه لا في بر ولا في بحر ولا في ظلام ولا في ضياء ما تختفي عن الله ﷻ .

المتن: والتصنع للمخلوق والحلف به وخوفه ورجائه.

الشيخ: كل هذا شرك أصغر.

المتن: ونجاسه الشرك عينية.

الشيخ: ﴿ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ نجاسة عينية لا يذهبها إلا التوحيد؛ ولذلك لا تحل ذبيحتهم، ولا تحل نسائهم للمسلمين لأنها نجس.

المتن :ونجاسة الشرك عينية ولهذا جعل الله سبحانه المشرك نَجَسا بفتح الجيم.

الشيخ: بخلاف النجِس بكسر الجيم هذا يمكن تطهيره بالماء، ثوب نجس، أرض نجِسة؛ هذه تطهر بالماء؛ لكن نجَس هذه لا يُطهر إلا بالتوبة والتوحيد.

المتن: ونجاسه الشرك عينية؛ ولهذا جعل سبحانه المشرك نَجَسا بفتح الجيم، ولم يقل إنما المشركون نجِس بالكسر؛ فإن النَّجَس عين النجاسة، والنجِس بالكسر هو المتنجِس.

الشيخ: النجَس هو نجِس العين الذي لا يمكن تطهيره، مثلا الكلب هذا نجِس نجاسة عينية لو تغسله بالبحار ما طهر؛ **النجاسة العينية**: لا يزيلها الماء والغسل.

وأما النجاسة الحكمية: وهي الطارئة على محل طاهر، هذه تطهر بالماء، تطهر أحيانا بالشمس؛ إذا ضربتها الشمس وزالت، تطهر بالفرك والدلك كما في النعلين والخفين، وتطهر بالاستجمار كما في قضاء الحاجة.

المتن: والنجِس بالكسر هو المتنجس، فالثوب إذا أصابه بول أو خمر نجِس، والبول والخمر نجَس.

الشيخ : البول والخمر نجَس، والثوب إذا أصابه البول أو الخمر يقال له هذا نجِس؛ لأن الله وصف الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان والرجس هو النجِس .

المتن: فأنجس النجاسة الشرك كما أنه هو أظلم الظلم

الشيخ: يعني أشد النجاسة نجاسة الشرك؛ كما أن الشرك أظلم الظلم؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣] هو أعظم أنواع الظلم ؛ لأنه وضع للعبادة في غير موضعها، وهذا هو الشرك، الشرك وضع الشيء في غير موضعه.

المتن:فإن النجَس في اللغه والشرع: هو المستقذر الذي تُطلب مباعدته والبعد منه.

الشيخ: بحيث أنه لا يطهر، حتى لو تقول سأغسله ما فيه فائدة، ما يطهر، أنت لو تغسل العذرة بالبحار ما طهرت؛ لأن نجاستها عينية؛ وكذلك البول نفسه نجاسته عينية.

المتن: بحيث لا يُلمس ولا يُشم ولا يُرى؛ فضلا عن أن يخالط ولا يُلابس لقذارته ونُفرة الطباع السليمة منه؛ وكلما كان الحي أكمل حياة، وأصح حياء كان إبعاده لذلك أعظم ونُفرته منه أقوى.

الشيخ : الذي فيه حياة يتجنب النجَس من المشركين ومن النجاسات العينية؛ يبتعد عن إصابة البول، إصابة العذرة؛ و مواقعتها، يجتنب النجاسة، هذا الذي فيه حياة.

المتن: فالأعيان النجِسة إما أن تؤذي البدن، أو القلب، أو تؤذيهما معا، والنجَس قد يؤذي برائحته، وقد يؤذي بملابسته، وإن لم تكن له رائحة كريهه، والمقصود أن النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة.

الشيخ: الكافر نجِس نجاسة معنوية لا تُشاهد؛ بخلاف العذرة هذه تُرى نجاسة تُشاهد وتُعرف.

المتن: ، والمقصود أن النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة، فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحي ليشم من تلك

الروح والقلب رائحة خبيثة يتاذي بها؛ كما يتأذى من يشم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيرا في عرقه حتى يجد لرائحة عرقه نتنا، فإن نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره، والعرق يفيض من الباطن ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق، وكان رسول الله ﷺ أطيب الناس عرقا.

الشيخ: ورائحة، كان ﷺ أطيب الناس رائحة وإن لم يمس طيبا، وكان عرقه طيبا.

المتن : وكان رسول الله ﷺ أطيب الناس عرقا، قالت أم سُليم رضي الله عنها: وقد سألها رسول الله ﷺ .

الشيخ : أم سُليم والده أنس بن مالك رضي الله عنهم

المتن: قالت أم سليم رضي الله عنها وقد سألها رسول الله ﷺ عنه وهي تلتقطه، هو من أطيب الطيب.

الشيخ. : يعني عرق الرسول ﷺ، تقول عرقه كان من أطيب الطيب.

المتن: فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد، والنفس الطيبة بضدها فإذا تجردت وخرجت من البدن وُجد لهذه كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

الشيخ: إي نعم، الميت إذا قُبضت روحه إذا كانت نفس مؤمن يظهر لها رائحة طيبة عظيمة؛ فيقال: ما هذه الرائحة الطيبة؟ فيقال: هذا فلان ابن فلان ويُصعد به إلى السماء، وتفتح له أبواب السماء وكل أهل سماء يسألون ما هذه الريح الطيبة؟ هذه نفس فلان ابن فلان.

المتن: والنفس الطيبة بضدها فإذا تجردت وخرجت من البدن.

الشيخ: خرجت من البدن يعني بالموت

المتن: وُجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض و لتلك كأنتن ريح جيفة.

الشيخ: أما نفس الكافر والعياذ بالله إذا قُبضت يظهر لها رائحة أنتن من الجيفة فتسال الملائكة أو الناس ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقال هذه روح فلان ابن فلان الكافر.

المتن: ولتلك كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.

الشيخ: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه

المتن: والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء الي الله وأكرهها له، وأشدها مقتا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه.

الشيخ: هذا الشرك يعني، عقوبه الدنيا أنه يُقتل، ويباعد عنه، ويبتعد عنه، وعقوبة الآخرة والعياذ بالله النار.

المتن: وأخبر أنه لا يغفره

الشيخ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]

المتن: وأن أهله نجَس ومنعهم من قُربَان حَرَمِه.

الشيخ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] يعني عام الفتح؛ لما فتح النبي ﷺ مكة منع المشركين من دخولها فأرسل من ينادي في الموسم ألا يحج بعد هذا العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان.

المتن: وحرم ذبائحهم ومناكحهم.

الشيخ: نعم، فذبيحة المشرك حرام ولا تؤكل؛ وإن ذبحها في المحل، وإن ذكاها بالسكين، لأنه نجس نجاسة معنوية فتحرم ذبيحته، تسري إليها نجاسته وخبثه فلا تؤكل ذبيحته؛ لأن الله أباح لنا طعام أهل الكتاب فقط، فتخصيص طعام أهل الكتاب يعني ذبائحهم دليل على أن غيرهم من الكفار لا تحل ذبائحهم؛ لأنهم نجس؛ وكذلك حرم التزوج من المشركات

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾[البقرة: ٢٢١]

المتن: وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين.

الشيخ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾[المائدة: ٥٧] لا توالونهم بالمحبة، ولا بالنصرة، تبرءوا منهم.

المتن: وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين.

الشيخ: الله عدو للكافرين ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[البقرة: ٩٨] ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[الممتحنة: ١]

المتن: وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونسائهم وأبنائهم.

الشيخ: يعني بالغنيمة، أباح لهم أموالهم ونسائهم ودمائهم يعني قتالهم؛ دمائهم بالقتال، وأموالهم بالغنيمة؛ لأنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء عباده المؤمنين.

المتن: وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونسائهم وأبناءهم.

الشيخ: نسائهم بالسبي يعني، لا بالنكاح والعقد؛ لكن بالسبي.

المتن: وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونسائهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيدا.

الشيخ: أرقاء يسترقونهم؛ لأنهم لما استكبروا عن عبادة الله أذلهم الله، وجعلهم أرقاء، وجعلهم عبيدا للشيطان بدل عبوديه الله ﷻ.

المتن: وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية

الشيخ: هذا الذي جعل هذه عقوبه الكافر والمشرك؛ لأنه تنقص للربوبية، فالمشرك يتنقص الله ﷻ وكذلك الكافر يتنقص الله ﷻ.

المتن: وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح: ٦]

الشيخ: فلا يجوز إساءة الظن بالله؛ يجب حسن الظن بالله ﷻ دائما وأبدا ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت: ٢٣] ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

المتن: كما قال تعالى :﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾فلا يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جُمع على أهل الإشراك؛ فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حق قدره في ثلاثه مواضع من كتابه

الشيخ:﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٩١]﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج: ٧٤] في ثلاثة مواضع، في سورة الأنعام، وفي سورة الحج، وفي سورة الزمر.

المتن: وكيف يقدِره حق قدره من جعل له عِدلا وندا ؟

الشيخ: عِدلا يعني: معادلا له، مساويا له، المشرك سوى المخلوق بالخالق وعادله به ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾[الأنعام: ١] يجعلون له عِدلا من خلقه وشريكا يساويه.

المتن: وكيف يقدِره حق قدره من جعل له عِدلا وندا يحبه ويخافه ويرجوه، ويذل له، ويخضع له ويهرب من سخطه، ويؤثر مرضاته.

الشيخ: هذه كلها حقوق الله؛ المشرك جعلها لمن يشرك به من الأصنام والأشخاص.